حدود حرّيّة التعبير خلال أيّام الحرب

نشرة معلوماتيّة مُعَدّة لمجتمع جامعة تل أبيب

أ. خلفيّة

منذ المجزرة التي ارتُكِبت في غلاف غزّة في تاريخ 7.10.23، والتي راح ضحيّتها نحو 1400 إسرائيليّ، وثمّة مئات ما زالوا في عداد المخطوفين والمفقودين، تخوض دولة إسرائيل حربًا دمويّة ضدّ منظّمة حماس الفلسطينيّة الإرهابيّة. علاوة على الخسائر البشريّة والماديّة، تُلحِق الحرب أضرارًا جسيمة بالتماسك الاجتماعيّ لمواطني إسرائيل اليهود والعرب، وتُعمِّق الشرخ القوميّ، وها نحن نشهد ارتفاعًا حادًّا في التفوُّهات القاسية والمتطرّفة. فإلى جانب حالات محدودة جدًّا دعمت عمليّاتِ منظّمة حماس التي تقشعرّ لها الأبدان، وعبّرت عن مظاهر الفرح تجاهها، تُسمَع أصوات تحريضيّة ضدّ العرب وضدّ من يطرح مواقف تتماثل مع المعاناة الإنسانيّة للسكّان المدنيّين في غزّة. من شأن تصريحات متطرّفة من هذا النوع أن تضرّ بالتماسك المجتمعيّ في جامعة تل أبيب، وأن تنتهك الشعور بالأمن لدى أعضاء المجتمع داخلها، وأن تُلحِق الضرر بالقدرة على التدريس وإجراء الأبحاث، عوضًا عن أنّها لا تتماشى مع طابع الجامعة. في حالات فرديّة، اتّخذت الجامعة إجراءات تأديبيّة ضدّ طلبة عبّروا عن دعمهم لحماس والإرهاب. في حالات أخرى جرى فيها تقديم شكوى حول تصريح غير لائق، فضّلنا اتّخاذ خطوات تتمثّل في الفحص والتحادث.

على خلفيّة التوجُّهات الكثيرة التي وصلتنا بشأن التصريحات والتفوُّهات في الشبكات الاجتماعيّة وفي الفضاء الجامعيّ، ارتأينا أن نَعْرض في ما يلي شروحًا ومعلومات بشأن حدود حرّيّة التعبير: المبادئ وطريقة تطبيقها.

ب. ما المقصود بحرّيّة التعبير؟

تُعتبَر حرّيّة التعبير إحدى القيم المركزيّة في النظام الديمقراطيّ في الدول الليبراليّة، وهي تسعى إلى ضمان حقّ الفرد في التعبير عن وجهات نظره وآرائه بحرّيّة، ولا سيّما في إطار الفضاء الأكاديميّ. جرى إقرار هذا الحقّ في النظام القضائيّ الإسرائيليّ باعتباره أحد الحقوق الأساسية في المجتمع الإسرائيليّ، ومن الضروريّ أن تتماشى القيود المفروضة على حرّيّة التعبير مع حيثيّات قد تُفْضي فيها حرّيّة التعبير إلى انتهاك قيمة محميّة أخرى انتهاكًا قاسيًا.

مبدأ حرّيّة التعبير مهمّ جدًّا وَ «يدخل إلى حيّز التنفيذ» عندما يجري الحديث عن تعبير يشكّل موضعَ جدل وخلاف، ويَصْعب الاستماع إليه، أو تصعب قراءته، ويثير الغضب، أو يُلحِق الأذى. المنطلَق الذي يشكّل قاعدة لحرّيّة التعبير هو أنّ الخلافات في وجهات النظر -حتّى تلك الأكثر صعوبة من بينها-يجب أن تُحَلّ بواسطة «سوق أفكار» ينافس بعضها البعض، لا بواسطة إسكات الأفكار من قبل من يمتلك القرار حول ما هو مسموح وما هو محظور.

في الوقت ذاته، من الواضح أنّ حرّيّة التعبير ليست غير محدودة، ولا تُعتبَر "عصا سحريّة" تتغلّب على جميع المصالح.

في هذه الأيّام، يجري التركيز في الأساس على قيدَيْن اثنَيْن معروفَيْن على حريّة التعبير.

القيد الأوّل هو ذاك المفروض على التعبير عن دعم الإرهاب، والذي حُدّد في البند 24(أ)(1) من قانون مكافحة الإرهاب، 2016، وهذا هو نصّه:

> كلّ من يرتكب فعْلَ تماثُل مع منظَّمة إرهابيّة، بما في ذلك نشرُ أقوال إشادة (مديح) أو دعم أو تشجيع، ورفْعُ عَلَم، وعَرْض أو نشر رمز، وعَرْضُ أو إسماع أو نشر شعار أو نشيد وطنيّ، في كلّ واحد من هذه، يُحكَم عليه بالسَّجن مدّة ثلاث سنوات:
> (1) على الملأ، لغرض التماثل مع المنظّمة الإرهابيّة؛

القيد الثاني هو حظر التحريض على العنصريّة الذي جرى تثبيته في تعليمات البند 144ب من قانون العقوبات،1977، وهذا نصُّهُ:

> (أ) من ينشر أمرًا بهدف التحريض على العنصريّة، يُحْكَم عليه بالسَّجن لمدّة خمس سنوات.
> (ب) في ما يخصّ هذا البند، إذا أدّى النشر إلى العنصريّة أو لم يؤدِّ، وإن كان يمتّ للحقيقة بِصِلة أو لم يكن يمتّ لها، فكلّ ذاك على حدّ سواء.

أدرجت تعليمات مشابهة بشأن حظر التحريض على العنصريّة في النظامِ الداخليّ التأديبي المُعَدّ للطلبة في جامعة تل أبيب، وتعبر أن السلوك التالي يعتبر مخالفة تأديبيّة:

> «السلوك الذي لا يليق بكرامة الجامعة، أو مكانة الطالب، سواء أجَرى ارتكابه بين جدران الجامعة أَم جرى خارجها، وسواء ارتُكِب على ضوء مكانة التلميذ أو في سياقها، أو في سياق نشاط في الجامعة، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. لغرض هذا البند، يُعَدّ التحريض على العنصرية ضدّ عاملي الجامعة وأساتذتها وطلبتها سلوكًا لا يليق بكرامة الجامعة ولا بمكانة الطالب».

في شأن حظر التحريض العنصريّ، جرى تعريف هذا التحريض في قانون العقوبات على النحو التالي:

> ملاحَقة، أو إهانة، أو تحقير، أو مظاهر عدائيّة، أو ممارسة عدوانيّة أو عنف، أو التسبُّب في خصومة تجاه جمهور بأكمله أو تجاه مجموعة سكّانيّة، وكلّ ذلك بسبب اللون أو الانتماء العِرْقيّ، أو المنشأ القوميّ-الإثنيّ.

ج. كيف نطبّق هذه التعليمات في سياق التفوُّهات والتصريحات في أيّام الحرب؟

الشبكات الاجتماعيّة

الشبكات الاجتماعيّة والمنصّات الإلكترونيّة العلنيّة هي الفضاءات التي «يعيش» فيها الكثير منّا في هذه الأيّام، ولا سيّما الطلبة والطالبات الجامعيّين. تشكّل كلّ هذه مَصْدرًا للمعلومات، وتطوير الوعي، وتأسيس مجموعات دعم وتضامُن وتماثُل، لكنّها تشكّل أيضًا مصدرًا للانكشاف على معلومات كاذبة وَ «حرب نفسيّة» درجة تأثير الشبكات الاجتماعيّة لا تقلّ عن التفوُّهات التي تُطْلَق في حيّز الحرم الجامعي الجغرافيّ، بل حتّى في منصّات جامعيّة، بل ربّما تَفوقها. من هنا تَعتبر الجامعة الموادّ التي تُنشر في الشبكات الاجتماعيّة جزءًا من الفضاء الجامعيّ الذي تجب المحافظة فيه على حرّيّة التعبير من ناحية، والامتناع من الناحية الأخرى عن انتهاك مصالح محميّة أخرى.

نعرض في ما يلي عددًا من المبادئ والأمثلة للتصرُّفات اللائقة على الشبكات الاجتماعيّة خلال الحرب، على النحو الذي يكفل حرّيّة التعبير، ويحافظ في المقابل على القِيَم المحميّة من قِبل جامعة تل أبيب:

1. **ضرورة استخدام لغة تَكنّ الاحترامَ.** تذكّروا أنّ الكلمة المكتوبة تحمل في طيّاتها قوّة. امتنِعوا عن التلفُّظ بتفوُّهات تنمّ عن الكراهِيَة، وعن تعابير عنصريّة وتجديف يحمل صبغة تعميميّة تجاه قِطاعات كاملة، سواء أكان ذاك في ما تنشرونه أنتم أنفسكم، أَم عند قيامكم بالردّ على منشورات أخرى. كلّ ما تنشرونه يحمل تأثيرًا ما على الآخَر، ويجب أن يؤخذ هذا الأمر في الحسبان عند النشر. **ممنوع: يجب إغراق جميع اليهود /العرب الملاعين في البحر.**

2. **يجب الامتناع عن نشر وتعميم معلومات كاذبة ومضلِّلة قد تشكّل خطرًا على حياة الناس.** يجري في هذه الأوقات نشر الكثير من المعلومات الكاذبة الرامية إلى تعميق الشرخ القوميّ، وإلى ما هو أخطر من ذلك: تشجيع الأعمال الانتقاميّة والاعتداء على الأبرياء. افحصوا جيّدًا المصادر التي ترتكز عليها هذه المعلومات ودرجة مصداقيّتها.

3. **يجب الامتناع عن نشر موادّ دعائيّة من شأنها مخالفة تعليمات القانون.** مشارَكة مَقاطع مصوَّرة دعائيّة وتقارير حول ما يدور في الحرب أمر مسموح به، بل محبَّذ في حدود حرّيّة التعبير. في الوقت ذاته، يجب التأكُّد من أنّ هذه الموادّ لا تحتوي على تفوُّهات عنصريّة، وعنيفة وتحريضيّة، أو أنّها تؤيّد وتدعم النشاط الإرهابيّ. **ممنوع: المشاركة بمحتوى يمجّد منظّمة حماس الإرهابيّة. مسموح: المشارَكة بمعلومات حول سَيْر الحرب.**

4. **انتبِهوا إلى الرموز وإلى اللغة المرئيّة.** التعبير عن رأي سياسيّ في الشبكات الاجتماعيّة في هذه الأيّام يقترن -في ما يقترن-باستخدام رموز ووسائل مرئيّة مختلفة. عليكم الالتفات إلى طبيعة هذه الرموز، وإلى اللغة المرئيّة التي تحتويها منشوراتكم، والفحص بعين ناقدة ما إذا كان النشر الذي يحتويها قد يشكّل انتهاكًا للقانون وَ/أو أنظمة الجامعة. **على سبيل المثال: لا يشكّل استخدام وعرض عَلَم السلطة الفلسطينيّة دعمًا لمنظَّمة إرهابيّة. في المقابل، النشرات التي تتناول النزاع وتمجّد عَلَم المنظَّمة الإرهابيّة حماس، من خلال عرضه على أنّه رمز شرعيّ، تُعتبَر في ظروف معيَّنة دعمًا فعليًّا لمنظَّمة إرهابيّة.**

5. **ميِّزوا بين حرّيّةِ التعبير المشروعة، ودعمِ منظَّمة إرهابيّة أو تحريضٍ -** ثمّة فرق بين دعمِ المنظَّمة الإرهابيّة حماس، المحظورِ وَفْق القانون، ودعمِ الشعب الفلسطينيّ والتضامنِ معه.

6. **أَجْرُوا تحادثًا بَنّاءً.** تشكّل الشبكات الاجتماعيّة فضاء للتحادث والجدالات والمشارَكة في الآراء. نوصي أن يدار الحديث بطريقة بنّاءة من خلال احترام الطرف الآخر في التحادث حتى لو كنتم تشعرون أنّ آراءه لا تطاق. امتنِعوا عن طرح أقوال تعميميّة وأحادية الجانب عن المتحدّث معكم لا تمهِّدُ للتحاور ولاستيضاح الخلافات بطريقة حضاريّة، مثل: «أنتم العرب يجب الإلقاء بكم في البحر»؛ «أنتم اليهود المحتلّون تستحقّون كلّ ما يحصل لكم فعلًا» -وما شابَهَ ذلك...

7. **امتنِعوا عن التنمُّر والتشهير والوَصْم.** في هذه الأوقات، قد يكون كثير من الطلبة والطالبات عرضة للتنمُّر، والتشهير (shaming)، والوصم، بسبب انتمائهم الجماعيّ وبسبب اعتبارات متسرّعة وساقطة مِن قِبل مَن يقوم بالنشر. هذا النوع من النشر الذي يتمحور في أشخاص معيَّنين يجعلهم عرضة للمس بكرامتهم، ويشكّل تمهيدًا لمظاهر عنف وأنواع مختلفة من التهديد الموجَّه إليهم شخصيًّا. **انتبِهوا أنّ كلّ هجوم شخصيّ ضدّ طلبة معيَّنين قد يُفْضي إلى اتّخاذ إجراءات قانونيّة من قبل الطالب المتضرّر، وتشمل اتّهامًا بالقذف والتشهير.**

8. **فكّروا جيّدًا، وكونوا متيقّظين وبلّغوا الجهات المختصّة، إذا كنتم تشتبهون بحصول نشر غير لائق.** القرار بشأن طبيعة النشر في الشبكة الاجتماعيّة يسري -في ما يسري-على المُشاهِد أيضًا. إذا صادفتم نشرًا قاسيًا يثير فيكم تخوُّفًا فعليًّا من أنّه ينتهك القانون، فبلّغوا عن النشر -بعد أن تكونوا قد فكّرتم مليًّا في خطورة هذا النشر-كي تجري إزالته، وحافِظوا على صور الشاشة ومستندات ثبوتيّة كي تشكّل أدلة في مسار الفحص والاستيضاح.

للتلخيص نوضّح أنّ نقطة انطلاق جامعة تل أبيب هي أنّ معظم أفراد مجتمعها هم أشخاص يعارضون الإرهاب والتحريض على العنصريّة. يعتصرنا جميعًا الألمُ حيال ما يحصل في هذه الأيّام حولنا من ثكل وقتل، وندعو إلى تهدئة الخواطر قَدْر المستطاع.

في هذه الأيام التي تتميّز بالحساسيّة المتزايدة، يفضّل الامتناع عن تفوّهات مشحونة في الحالات التي قد تشكّل فيها مصدرا للخلافات، حتى لو كانت تشكّل في الأيام العادية جزءا من التصريحات المقبولة. من اللائق في هذه الفترة الامتناع عن تعابير وتفوّهات قد تثير مشاعر صعبة، وتعزّز الخلافات، وتتسبّب بالألم والحزن.

حافِظوا على أنفسكم، وتفوَّهوا بمسؤوليّة من خلال التفكير بشأن الحاجة إلى إعادة بناء مجتمعنا الجامعيّ بعد أن تضع الحرب أوزارها.